المقاصد الكلية لسورة الفاتحة وأثرها في منهج التسوير القرآني

"سورتا البقرة والنساء أنموذجا"

بصائر المعرفة القرآنية

قرآن يتلى لإنسانية ترقى

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

المقاصد الكلِّيَّة لسورة الفاتحة وأثرها في منهج التسوير القرآني

"سورتا البقرة والنساء أنموذجًا"

عبد السلام مقبل المجيدي*

المؤتمر الدولي (المقاصد في العلوم الإسلامية)، الذي عقد في جامعة وان يوزنجو يل كلية الإلهيات، في تركيا، خلال الفترة 13- 15 أكتوبر 2023م، كتاب المؤتمر، ص ص 353-378

İlahiyat Bilimlerinde

MAKÂSID

المقاصد في العلوم الإسلامية

Maqasid in Religious Studies

VAN YYÜ İLAHİYAT FAKÜLTESİ

جامعة وان يوزنجو يل كلية الإلهيات

Van Yuzuncu Yil University Faculty of Divinity

International Symposium المؤتمر الدولي

ULUSLARARASI

SEMPOZYUM

13-15 EKİM أكتوبر OCTOBER 2023

VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ

VAN YYÜ İLAHİYAT FAKÜLTESİ

VAN İL MÜFTÜLÜĞÜ

TRİPOLİ ÜNİVERSİTESİ

NİDA AKADEMİ

المقاصد الكلِّيَّة لسورة الفاتحة وأثرها في منهج التسوير القرآني

"سورتا البقرة والنساء أنموذجًا"

عبد السلام مقبل المجيدي*

ملخَّص

تحوي سورة "الفاتحة" بصورة مكثَّفة المقاصد التي تُعَرِّف العالم بالإسلام، وتُمَثِّل الخطَّةَ القرآنيَّة المركزيَّة لبناء الحياة العلميَّة والعمليَّة التي يحتاجها الفرد والمجتمع، ويسهم هذا البحث في ذكر هذه المقاصد، وإبراز أثرها في تشكيل المحاور الكلِّيَّة لسورتي البقرة والنساء، والتَّبصير بالموضوع الكلِّيِّ لكلٍّ منهما، ونحاول من خلال ذلك أن نستبين عظمة منهج "التَّسوير القرآنيِّ"، واعتمدت في ذلك بصورة أساسيَّةٍ على أعمالي السَّابقة في هذا المشروع المبارك، ولتحقيق ذلك تكوَّن البحث من مقدِّمة، وتمهيد، وخمسة مباحث: يتضمَّن التَّمهيد أهمِّيَّة (الفاتحة) في تقديم الإسلام للعالم، وتقرير المقاصد المعرفية والسُّلوكية التي تحتاجها الإنسانيَّة، ويعالج المبحث الأول المقاصد الإجماليَّة التي ذكرتها سورة الفاتحة، ويختصُّ المبحث الثاني بذكر المقاصد التَّعريفيَّة التَّفصيليَّة، والتي بلغت عشرة مقاصد، تُمَثِّل في الوقت نفسه المحاور الأساسيَّة لسورة الفاتحة، وتقدِّم الخريطة المتكاملة للنَّجاح الإنسانيِّ، ويُظهِر المبحث الثالث الخريطة الكلِّيَّة التي توضِّح الموضوعَ الكلِّيَّ لسورة البقرة، وترسم محاورَها العامَّة، ويُبرز المبحث الرابع الخريطة الكلِّيَّة لسورة النِّساء التي تفصِّل محاورها العامةَّ، ويثوي موضوعها الكلِّي بين جنباتها، ويُظهِر المبحث الخامس أثر مقاصد الفاتحة في تكوين المحاور الكلِّيَّة للسُّورتين، ورسم هيكلة وخريطة كلٍّ منهما. وخلص البحث إلى جملة من النَّتائج أهمُّها: يمثِّل الإحكام المدهش الذي اتَّسم به منهج "التَّسوير" القرآنيِّ" صورة عظيمة من صور البيِّنة القرآنيَّة المتجدِّدة، والتي يعبِّر عنها كثير من علمائنا بالإعجاز، وقد ظهر مثال ذلك في هذه السُّوَر الثَّلاث (الفاتحة، البقرة، النساء). تبرز مركزيَّة الفاتحة في كتاب الله، حيث تشرق أنوارها من خلال المقاصد الكبرى التي تضمَّنتها، وأثرها في رسم الخريطة الكلِّيَّة لسورتي: البقرة والِّنساء، وتحديد الموضوع الكلِّيِّ لكلٍّ منهما، والمحاور التي تتفرع عنه. مركزيَّة الفاتحة لا تعني أن بقيةَ السُّوَر القرآنيَّة مستغنىً عنها؛ ذلك أن القرآن كلَّه -وليس الفاتحة فقط- هو الذي تتحقَّق به الكفاية للاحتياجات البشرية في إقامة الحجَّة، وفي فَهْم الحياة، وفي التَّشريع التَّنظيميِّ للواقع. أرست الفاتحة أسسَ الصَّلاح النَّفسيِّ، والسَّكينة الشَّخصيَّة، والنُّظُم الجامعة التي تهدي البشريَّة إلى سعادتها وفلاحها الدُّنيويِّ والأخرويِّ.

الكلمات المفتاحيَّة: تفسير- المقاصد الكلِّيَّة- بصائر- محاور- التَّسوير القرآنيُّ.

---

* الأستاذ الدكتور، جامعة قطر، كلية الشريعة، قسم الدراسات الإسلامية.

المقاصد الكلِّيَّة لسورة الفاتحة وأثرها في منهج التسوير القرآني

"سورتا البقرة والنساء أنموذجًا"

عبد السلام مقبل المجيدي*

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على من رسم لنا من سنَّته سبيلًا ومنهجًا، وعلى آله وصحابته أولي الأحلام والحجى.

أما بعد:

فإن الله Y أحكم كتابه، وأودعه ما يحيّر الألباب من العلوم الشريفة، والأحكام والحكم البالغة المنيفة، فهو الكتاب الذي يفسر وجود العالم (الوجود الكوني) في قولٍ واضحٍ مبينٍ ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، ومنه تستلهم البشرية المعرفة، والسلوك، والمشاعر، وهو الذي يفتح للعالَم الأبصار والبصائر، وينير في الدنيا كلَّ قلبٍ خائفٍ قلقٍ حائرٍ، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[2]، وهو البيان الإلهي الذي يصنع السعادة للبشرية، وينقذها من شرور القوى المستغلة، ويحميها من إفساد المستكبرين ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[3]. وإنما يتحقَّق ذلك باستنباط مقاصد القرآن العامَّة، واستنباط مقاصد كلِّ سورة بحدتها، ثم الأخذ بمعالم الرشد تلك، وتلزمها في مسالك الحياة، وعمارتها وفق مقتضى استخلاف الله Y للإنسان فيها.

وقد حوت سورة "الفاتحة" المقاصد الكبرى المعرّفة بالإسلام، ويسهم هذا البحث في ذكر هذه المقاصد، ويُظهر أثرها في تشكيل المحاور الكلِّيَّة لسورتي البقرة والنساء، والتَّبصير بالموضوع الكلِّيّ لكلٍّ منهما، وقد عنونت لهذا البحث بـ (المقاصد الكلِّيَّة لسورة الفاتحة وأثرها في منهج التسوير القرآني- سورتا البقرة والنساء أنموذجًا).

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يقدِّم أنموذجًا تطبيقيًا لأثر مقاصدية الفاتحة على تسوير كلٍّ من سورتي: البقرة والنساء، ورسم هيكلتهما وخريطتهما الكلية، وهذا يعد لونًا متقدِّمًا مبتكرًا من ألوان الوحدة الموضوعية والدراسة الموضوعية للقرآن الكريم، وانشداد سوره إلى الفاتحة المباركة باعتبارها محور ارتكاز لمقاصده التفصيلية ومعالمه المبثوثة في جميع سُوَره وآياته، ولا نبالغ إن قلنا إنه وجه إعجازي فريد متجدِّد للبيّنة القرآنيَّة.

أهداف البحث:

1) إبراز المقاصد المعرفية والسُّلوكية التي تحويها الفاتحة، وإظهار الدور المركزي لها في رسم الخريطة الكلية لكلٍّ من سورتي: البقرة والنساء.

2) تقديم أنموذجين عمليين لاستنباط تسوير السورة القرآنية، والتعرف إلى محورها الرئيس، وتطبيق ذلك على سورتي: البقرة والنساء.

---

* الأستاذ الدكتور، جامعة قطر، كلية الشريعة، قسم الدراسات الإسلامية s1435y@gmail.com

[1] هود 120/11.

[2] الأعراف 52/7.

[3] آل عمران 138/3.

3) إظهار وجه إعجازيٍ مبتكر يتمثَّل في تسوير السورة القرآنية، والوقوف على أبرز المعينات على معرفته، وتحديد الموضوع الكلي للسورة.

الدراسات السابقة:

1) تسويرُ السُّورةِ القرآنيةِ.. إعجازٌ متجدِّدٌ، (دراسةٌ تطبيقيةٌ على سورةِ النساءِ)، للدكتور عبد السلام المجيدي، مجلة كلية الشريعة بجامعة قطر يناير 2022م، وهو بحث وثيق الصلة ببحثنا هذا لكنه ينحو باتجاه التأصيل لمفهوم التسوير باعتباره مصطلحًا جديدًا في حقل الدراسات القرآنية مع التطبيق العملي على سورة النساء بخصوصها.

2) إمعان النظر في نظام الآي والسُّوَر، للدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني.

3) الإعجاز في نظم القرآن، للدكتور محمود السيد شيخون.

4) النظم القرآني في سورة الرعد لمحمد بن سعد الدبل.

وهذه العناوين الثلاثة -كما هو بيّنٌ- تتناول نظرية النظم إما بمنحى الدراسة التحليلية العامة، أو التطبيقية على سورة بعينها، وهي تباين بحثنا بشكل جلي؛ إذ يتناول (هذا البحث) أثر مقاصدية سورة الفاتحة على تسوير سورتي: البقرة والنساء، ورسم خريطتهما الهيكلية، وقد جاء البحث في مقدِّمة، وتمهيد، وخمسة مباحث على النحو الآتي:

يتضمَّن التَّمهيد أهمِّيَّة (الفاتحة) في تقديم الإسلام للعالم، وتقرير المقاصد المعرفية والسُّلوكية التي تحتاجها الإنسانيَّة، ويعالج المبحث الأول المقاصد الإجماليَّة التي ذكرتها سورة الفاتحة. ويختصُّ المبحث الثاني بذكر المقاصد المفصِّلة لرسالة الإسلام العظيم، والتي بلغت عشرة مقاصد، تُـمَثِّل في الوقت نفسه المحاور الأساسيَّة لسورة الفاتحة الكفيلة بنجاح البشرية في الدارين، ويُظهر المبحث الثالث الهيكل الكلِّيّ الذي يوضِّح الموضوعَ الرئيس لسورة البقرة، ويرسم معالمها الكبرى، ويُبرز المبحث الرابع الهيكل الكلِّيّ لسورة النِّساء الذي يفصِّل محاورها العامةَّ، ويتضمن موضوعها الرئيس الذي تتمحور حوله أقسامها وموضوعاتها، وخُصص المبحث الخامس لبيان أثر مقاصد الفاتحة في تكوين المحاور الكلِّيَّة للسُّورتين، ورسم خريطة كل منهما.

ثم يقرِّر البحث أبرز النَّتائج التي تترتَّب على ذلك، وقد وظَّفت فيه المنهج الوصفي الاستقرائي، ثم المنهج التحليلي والاستنباطي.

التَّمهيد

أهمِّيَّة (الفاتحة) في التعريف برسالة الإسلام، وتفصيل المقاصد الفكرية والحضارية التي تحتاجها البشرية

تمثِّل (الفاتحة) مُقدِّمةَ القرآن، ويمثِّل القرآن أساسَ المعرفةِ الحقَّة للبشرية، فهو البيان الإلهي الأخير، والدستور الحقيقي لتنظيم الحياة، وفاتحةُ القرآن تُـمَثِّل الخطَّة القرآنية المركزية لبناء الحياة العلمية والعملية التي يطمح إليها الفرد والمجموع.. إنها أساس الخطط التي تقوم بتشكيل الحضارة الراشدة في المجتمعات، والسورة التي يجب إعادة تشكيل العقل المسلم في ضوء معالمها، ورسم خريطة الآفاق الفكرية على هدى بصائرها.

ترسم الفاتحة المعالم الإسلامية الأساسية، فهي "مشتملة على مجمل ما في القرآن، وكل ما فيه تفصيل للأصول التي وضعت فيها"[4]، وهي التي تشكِّل الحياة على عين الله Y، وتنير المجتمعات بالمسالك الحقيقية للنجاة، وتُعَرِّفُ العالَم بالخالق -جلَّ في علاه- وتشرق بنورها على الإنسان لتُعَلِّمَه

---

[4] محمد رشيد رضا، *تفسير القرآن الحكيم -تفسير المنار* (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990)، 30/1.

كيف يتعامل مع الحياة والكون والأحداث المتجدّدة وَفق عقليةٍ واعيةٍ، ونفسية مُوحّدةٍ نقيةٍ صافيةٍ، فقد حوت " كليات العقيدة الإسلامية، وكليات التصور الإسلامي، وكليات المشاعر والتوجهات"[5].

إن الفاتحة العظيمة تقدِّم الرؤية القرآنية التي تحدِّد للمسلمين -أفرادًا وأمة، وشعوبًا وحكومات- أولويات الحياة السَّويَّة، وتشكِّل الأساس الفلسفي والمنظور الثقافي الذي نبصر به كيفية التعامل مع الوجود، ونتحرك وفق هدايته في مدارج الحياة ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ﴾[6]، وبهذا صارت الفاتحة أمّ الكتاب، وأصلًا "لما يُبنى عليها من لطائف الكرامات وبدائع التقريب والإيجاب"[7].

إن مركزية (أمِّ الكتاب، وأمِّ القرآن) لا تعني أن بقيةَ السور القرآنية مستغنىً عنها أو لا حاجة لنا بها؛ ذلك أن القرآن كلَّه -وليس الفاتحة فقط- هو الذي تتحقق به الغنية للاحتياجات البشرية في إقامة الحجة وبيان المحجة، وفي فهم الحياة، وفي التشريع التنظيمي للواقع الحياتي؛ فالله -عزَّ جارُه- يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ﴾[8]، فهي (فاتحة) المنطلق والأساس لفهم الخطَّة المعرفية القرآنية التفصيلية في بناء الحياة؛ لما حوته من الخلاصة الأولية للكلمات الإلهية، وضمَّته من أهمّ المحكماتِ القرآنيةِ، والمقاصدِ الكليةِ القطعيةِ الإسلامية، والقواعدِ الدستوريةِ الجامعةِ.

فمهما تشعَّبت موضوعات سُوَر القرآن الكريم وتعدَّدت مقاصده وتنوعت فإن مآلها إلى (الفاتحة) المباركة، حتى ليصدق أن يقال بأن الأمة تنطلق من رحاب الفاتحة لتتبوأ مكان القيادة والريادة الخيّرة للعالم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[9].

(الفاتحة) فاتحة للسُّوَر، وليست هي السُّوَر! فلا تغني عنها؛ إذ بقية السُّوَر القرآنية تحتوي على معالمَ (تفصيلية) و(تأكيدية) لما في (الفاتحة)، كما أنها تنشئ (قواعدَ جديدةً) في البناء المعرفي القرآني، وتحتوي في الوقت ذاته على رصيدٍ معرفيٍّ عظيمٍ يشكِّل مبادئ قرآنيةً (تأسيسيةً) تتألف منها الخطةُ القرآنيةُ المتكاملة للبناءِ الحياتي مما لم يرد في (الفاتحة)، وقد وصف الله ﷻ الخريطة القرآنية كُلَّها فجعلها بجميع السُّوَر محتويةً على أربعة معالم أساسية، فقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[10].

إن القرآن بمجموع سُوَره يشكِّل مصدر المعرفة الأول الذي يمد العالم بمعلوماتٍ ليس في وسع البشر أن يجدوها من تلقاء أنفسهم أينما وجهوا وجوههم كما قرر الله ﷻ ذلك قائلًا: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[11]، ومن يستمع بفهمٍ واعٍ، ويتلقى القرآن المجيد بمحبةٍ صادقةٍ سيجده أساس الانبعاث الحضاري للعقل الإنساني، فأكمل العقول وأزكاها هي التي تصدر عن المعرفة القرآنية.

المبحث الأول

المقاصد الكلية لفاتحة الكتاب

---

[5] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، (بيروت-القاهرة: دار الشروق، 1412ه)، 21/1.

[6] الأنعام 104/6.

[7] عبد الكريم بن هوازن القشيري، *لطائف الإشارات*، تحقيق: إبراهيم البسيوني (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 43/1؛ وينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، *معترك الأقران في إعجاز القرآن* (بيروت: دار الكتب العلمية، 1408/ 1988) 58/1.

[8] العنكبوت 51/29.

[9] آل عمران 110/3.

[10] يوسف 111/12.

[11] البقرة 151/2.

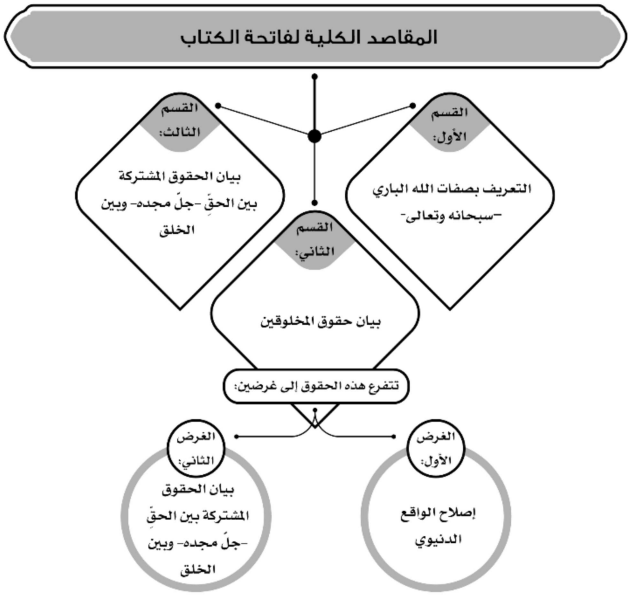

شكل (1) يوضح المقاصد الكلية لسورة الفاتحة

بمقتضى مركزية الفاتحة في النَّسق القرآني فإن لها مقاصد كلية، وبالتأمل فيها نجد تلك المَقَاصِد كافية لتعرف العَالَم بالإسْلام، ونجد أن أَوَّلَ من حدَّد البعدَ المقاصدي للفاتحة المباركة هو النبيُّ ﷺ، وقد تكفَّل بتحديد هذه المقاصد بصورةٍ مُونِقة مُعْجِبة تجتذب عميق التدبر، وتستجلب عظيم التفكر، وهو ﷺ إنما يفعل ذلك بوحي من ربه Y وتوقيف، حيث يقول ﷺ فيما يرويه عن ربه: «قال اللَّه تعالى: قسمت الصَّلاة بيني وبين عبدي نصفين، [فنصفها لي ونصفها لعبدي]، ولعبدي ما سأل:

فإذا قال العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾[12] قال اللَّه تعالى: حمدني عبدي.

وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾[13]، قال اللَّه تعالى: أثنى عليَّ عبدي.

وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾[14]، قال: مجَّدني عبدي، وقال مرَّةً: فوَّض إليَّ عبدي.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[15]، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل.

---

[12] الفاتحة 2/1.
[13] الفاتحة 3/1.
[14] الفاتحة 4/1.
[15] الفاتحة 5/1.

فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[16]. قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»[17].

و"في هذا الحديث تنبيه على ما في نَظْم فاتحة الكتاب من خصوصية التقسيم؛ إذ قسم الفاتحة ثلاثة أقسام، وحسن التقسيم من المحسنات البديعية"[18].

وفق منصوص هذا الحديث القدسي العظيم نجد أن الله -تعالى ذكره- قَسَمَ الفاتحةَ قسمين، ويتوسطهما القسم الثالث، وهذه الأقسام الثلاثةُ جاءت مرتبةً ترتيبًا رائقًا فائقًا:

القسم الأول: التعريف بالله I:

ويترتب على العلم بها معرفة حقوقه –جل في علاه-: وتتلخص تلك الحقوق في تعظيم الله Y وتمجيده بالثناء عليه بما هو أهله Y، ومجمع هذا الحق ومآله إلى التوحيد والتمجيد، والتربية، والرحمة، والعدل، والفضل، وهذا معنى (معرفة الحق لتقديسه وتعظيمه)، وهذا ما تتحفنا به الآيات الأربع الأُوَل من السورة، ولذا يجيب الله Y على من يقرؤها: (حمدني عبدي، أثنى عليَّ عبدي، مجَّدني عبدي، أو فوَّض إليَّ عبدي).

القسم الثاني: بيان حقوق المخلوقين:

ومردها كلُّها إلى الحقوق الإنسانية المكتسبة بالمِنَح الربانية حيث يجدون التربية الإلهية، ويطلبون الهداية إلى صراط السعادة في الدارين، ويدلُّ على هذا القسم الآيتان الأخيرتان ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[19]، وإعمال لدلالة عموم الاهتداء المطلوب في الفاتحة المباركة وشموله لكل مراحل الحياة ومختلف مجالاتها يمكن أن تتفرع هذه الحقوق إلى غرضين:

الغرض الأول: إصلاح الواقع الدنيوي:

أي إصلاح الأوضاع الحيوية التي فيها معاش الخلق بالعمران الفردي والجماعي، وهذا الإصلاح يقيمه منهاج العبادة التوحيدي بما تضمنه من مقومات تشريعيةٍ منظمة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[20]، فهو يوضح البناء العملي القائم على الأساس الفكري القويم للحياة السوية، ويتوج بالوقوف على أحوال أهل الاستقامة والهداية، وفريقي الغضب والضلالة، وقصصهم.

الغرض الثاني: إصلاح المستقبل الأخروي القادم:

وهو المعاد (يوم الدين) الذي يكتمل فيه الاستقرار الحياتي النهائي للمخلوقين، وتُحَقق فيه العدالة الكاملة غير المنقوصة، حيث ﴿تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[21].

القسم الثالث: بيان الحقوق المشتركة بين الحقِّ -جلَّ مجده- وبين الخلق:

---

[16] الفاتحة 1/6-7.

17مسلم بن الحجاج النيسابوري، *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، "الصلاة"، 11 (رقم 395).

[18] ابن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير) (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984)، 108/1.

[19] الفاتحة 1/6-7.

[20] الفاتحة 1/5-7.

[21] البقرة 281/2.

ويُعَبِّرُ عنها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[22]، فالإصلاح للواقعين (الحاضر والمستقبل) يتم بالعبادة التي تعني التطهير للنفوس الإنسانية من السيئات، والتنمية لها بالأعمال الصالحات العلمية والعملية من خلال (معرفة الخير للعمل به)، وهي وظيفة ذاتية يقوم بها الإنسان لنفسه ويرسم تفاصيلها القرآن المجيد، وهي وظيفة التزكية التي هي إحدى الوظائف النبوية الثلاث التي قررها في مواضع من كتابه، ومن ذلك قوله –سبحانه-: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[23].

فتوسطت هذه الآية الدستورية سورةَ (الفاتحةِ) لتكشف إعجاز الترتيب البياني القرآني، فهي بين الله وبين عبده، لذا قال الله Y: «هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل»، فمن العبد العبادة، ومن الله Y الإعانة، فتكون هذه الآية ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[24] ميزانًا للحقوق العامة في الحياة: حقوق الخالق، وحقوق الخلق.

وهذا التقسيم لطرفي الخطاب القرآني هو الذي أشار إليه النبي ﷺ في حديث أبي شريح الخزاعي τ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أبشروا وأبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟!» قالوا: بلى. قال: «فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه الآخر بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا»[25]. وبهذا يتقرر لدينا أن الله Y" أنزل هذه السورة على محمد عليه السلام، وجعل النصف الأول منها في معرفة الربوبية، والنصف الثاني منها في معرفة العبودية حتى تكون هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج إليه في الوفاء بذلك العهد"[26].

فما أروع الصياغةَ القرآنيةَ في (الفاتحة) المباركة، حيث لا يمكن أن تُقارَن بها كلُّ الصياغاتِ الدستورية الأرضية؛ إذ أبانت التقنينَ الحقوقي في قالب المناجاة والابتهال، وأوضحت طبيعةَ الوجود العالمي في هيئة كلامٍ متلوٍّ يملأ النفس بالجمال والجلال، وأدرجت في طياتها من المواد القانونية والأخلاقية التي تُنَظِّمُ الحياة البشرية، وتحيطها بالأنوار الإلهية.

---

[22] الفاتحة 5/1.

[23] الجمعة 2/62.

[24] الفاتحة 5/1.

[25] سليمان بن أحمد الطبراني، *المعجم الكبير*، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1415هـ- 1994) 126/2، (رقم 1539)، محمد بن حبان، *صحيح ابن حبان*، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، 1414 – 1993)، "العلم"، (رقم 122). وصححه الألباني، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن على شرط مسلم".

[26] فخر الدين محمد بن عمر الرازي، *مفاتيح الغيب* (بيروت: دار الكتب العلمية 2000/1421)

المبحث الثاني

المقاصد التَّفصيليَّة العشرة للفاتحة المباركة

شكل (2) يوضح المقاصد التفصيلية العشرة لسورة الفاتحة

عرضنا في المبحث الأول للبيان النبوي المقاصدي للفاتحة، وهو بيان إجمالي لمقاصدها، ونعقد هذا المبحث لتَبَيُّنِ مقاصدها التَّعريفيَّة التَّفصيليَّة، والتي تُمَثِّل في الوقت نفسه محاورها الأساسيَّة، وتتضمَّن بصورة مركزة وافية الخريطة المتكاملة للنَّجاح الإنسانيّ؛ ذلك أن "مراد الله من كتابه هو

بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابًا بينًا وتعبدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾"[27]، وسورة الفاتحة "على صغر حجمها، وقلة آياتها، قد اشتملت بوجه إجمالي على مقاصد الدين من توحيد، وتعبد، وأحكام، ووعد ووعيد"[28].

وتتميز المقاصدُ التعريفية للفاتحةِ أنها جمعت ثلاثةَ أمورٍ:

1) تعريفًا واضحًا بالحقائق الإسلامية الكبرى.
2) خريطةً حياتيةً شاملةً يتم في ضوئها تشكيل عقل المسلم، وبناء آفاق تفكيره وأولويات حياته.
3) ملخصًا لمقاصد القرآن الكريم وأغراض تنزيله.

فمن أدرك هذه المقاصد اتضحت له معالم الخطة القرآنية لبناء الحياة والقيام بحق الاستخلاف في الأرض، وتعرف من خلال ذلك على الإسلام.

وتُـمَثِّل هذه المقاصدُ المحكمات الدستوريةَ التي بها ينظر المؤمن إلى البناء الإسلامي الشامخ العظيم، ويتيقن من خلالها أن النظام الإسلامي يحقِّق السعادة القلبية والعقلية، والنجاحات الحياتية على المستويات الفردية والجماعية والعالمية، فضلًا عن الفوز الأخروي في يوم الدين، وتنبثق عن هذه المقاصد الكلية بصائرُ فرعيةٌ تُظْهِرُ عَظَمَةَ (فاتحة الكتاب)، وقوةَ كلماتها.

بالتدبر مليًّا في آيات الفاتحة نصل إلى أن مقاصد الفاتحة التعريفية التفصيلية عشرة نعرضها تباعًا[29]، كلٌّ منها يسلم إلى الآخر في تماسك واتصال وثيق:

المقصد الأول: التعريف باسم الإله الحق-جلَّ مجدُه- الذي خلق الكون وفطر الكائنات، والتعريف بأساس صفاته الكريمة:

ونجد هذا المقصد بينًا واضحًا في الآية الأولى في قوله Ψ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾[30]، فاسمه: الله، وأساس صفاته: الرحمة.

المقصد الثاني: التعريف بالوجود والعوالم التي تسكنه، وأنها دليلٌ على أن الله هو الإله الحق ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾[31]:

فكلُّ ذرَّة في الكون شاهدة على أن الله هو الإله الحق، فهو رب العالمين، والعالمون ينبغي أن يقابلوا ذلك بالحمد ولوازمه.

وبعد التعرف إلى طبيعة الوجود الكوني، والتعرف إلى أنه يسير وفق النظام الإلهي الذي به تتم إدارته وتربيته، فتنظم قوانينه ونواميسه الدقيقة المحكمة ربما جاء التساؤل عن مراد الله من خلقه للكون، وتربيته له وفق مشيئته.. لأي شيء يفعل ذلك؟ فيأتي الجواب في المقصد الآتي:

---

[27] ص 29/38؛ ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 39/1.
[28] محمد سيد طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم* (مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997)، 11/1.
[29] ينظر هذه المقاصد: عبد السلام مقبل المجيدي، *الإسلام في سبع آيات* (تركيا: دار الأصول العلمية، 2021/1442)، 46.
[30] الفاتحة 1/1.
[31] الفاتحة 2/1.

المقصد الثالث: التعريف بأهم غايات خلق العالمين: الرحمة بهم، وهو أهم أهداف الرسالة الإسلامية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾[32].

إن العودة إلى ذكر صفة الرحمة الإلهية، يؤكد ما سبقت الإشارة إليه من أن أساس العلاقة بين الله والخلق الرحمة السابغة، فضلًا عن إفادتها معنى آخر جديدًا، وهو تقرير مقصدية الخلق، وهدف إخراجهم من العدم إلى الوجود، إنه إرادة الرحمة بهم؛ إذ الرحمة أساس صفات الخالق المربي المصلح لأحوال عباده.

بهذه المقاصد الثلاثة السابقة نكون قد عرفنا إله العالم، وعرفنا أنه أوجد هذا العالم تربية، وعرفنا الغاية من وجود العالم، ويأتي السؤال بعد ذلك عن مصير هذه العوالم وهذا الوجود، وحدود الحياة فيه، وهنا تظهر الرحمة الإلهية الكاملة بالخلق، فتقدِّم الآية الرابعة الجواب عن كلِّ ذلك، ويعبِّر عن ذلك المقصد الرابع:

المقصد الرابع: التعريف بمصير الوجود ومآل العوالم في الحياة الدنيا، وتطبيق كمال العدل الإلهي ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾[33]:

ونلاحظ أن المقصد الثالث جاء بعد المقصد الثاني الذي تضمن الكلام عن (العالمين) في مرحلة الحياة الدنيوية والوجود الكوني المشهود، وقبل الكلام عن المقصد الرابع -وهو خبر المصير والنهاية، وبداية اليوم الآخر- ليبين الله Y أن عموم رحمته للدنيا والآخرة.

وبعد أن اتضحت المسيرة الكاملة الممتدة للوجود المخلوق، وظهر لنا -في الآيات الأربع السابقة- علاقة هذا الوجود ومن فيه بربهم -جلَّ مجده- الذي ربَّاهم ابتداء، وسيوافيهم بالجزاء اللائق به يوم الدين انتهاء.. يأتي السؤال عن السبيل الكفيل بتحقيق السعادة والفوز بالجزاء الحسن في الحياة الأولى المؤقتة، والحياة الأخرى الدائمة المنتظرة، وهذا ما يتناوله المقصد اللاحق.

المقصد الخامس: التعريف بوظيفة العالمين، وهي التحقق بعبودية الله القائمة على أساس توحيده ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾[34]:

وذلك لتحقيق السعادة في الحياتين، فهذا مقصدٌ تعريفيٌّ بوظيفة الوجود، وحقوق الله الواجبة على الموجودين، ونأخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾[35]، فهي تدل على أن منهجَ العبادة يقوم على التوحيد، ويتكون من نُظُمٍ متعدِّدةٍ تشمل كلَّ المجالات الحياتية المختلفة، وينتمي إلى هذا المنهاج كلُّ ما يتعلق بإعمار الحياة الدنيا، والقيم بمقتضيات الاستخلاف فيها، ومتطلبات الفوز في الحياة الآخرة، فصارت (العبادة المرتكزة على التوحيد، والشفاء من أمراض الكفر والرياء، والتطهر من الأدناس الثقافية والفكرية والسياسية) من أهمِّ ما تحتاجه البشرية لحيازة السعادة الحيوية والأبدية.

وهذا المقصد مرتبطٌ بما قبله، فبعد أن عرفنا الجواب عن السؤالين الوجوديين الكبيرين: (من أين جئنا؟)، و(إلى أين نذهب؟)

يبقى الجواب على السؤال الثالث: (لماذا أتينا؟)

لنجد أن الله Y فرض برنامجًا ووظيفة ممتدة بامتداد الحياة الوجودية، يؤدِّي ذلكم البرنامج إلى إصلاح النفوس الإنسانية، واستقامة الحركة في مسرح الحياة، وانسجامها مع بقية مخلوقات الكون ونواميسها، ويتلخَّص هذا البرنامج في (المنهاج العبادي المرتكز على توحيد الألوهية)، وسوف يكون

---

[32] الفاتحة 3/1.
[33] الفاتحة 4/1.
[34] الفاتحة 5/1.
[35] الفاتحة 5/1.

الجزاء والمحاسبة ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بناء على القيام بهذا البرنامج والالتزام بقواعد أحكامه وتفاصيلها، فمن عرف (توحيد الربوبية) في آية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢﴾[36] لا بد أن يُقرَّ بـ(توحيد الألوهية)، فيقول بكلية قلبه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾.

ولأننا نحتاج في التزامنا بنظام العبادة إلى معينٍ ومثبِّت عليه، ومعرِّف مبينٍ لطريقه بوضوح لا لبس فيه؛ فإن المقاصد القادمة تتكفل بذلك وتكفينا مؤنته:

المقصد السادس: الاستعانة بالله نظامٌ عبادي يُظهِر الافتقار للقادر القوي القهار ليعين على بناء الحياة وعمارتها، وتحقيق النجاح والفوز وفق نظام العبادة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[37].

فهذا مقصدٌ تعريفيٌّ بالوسيلة المعينة على إقامة الوظيفة الحياتية، ونستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[38]؛ فالافتقار الدائم سمةٌ لازمة للإنسانية في كلِّ شؤونها: الأكل والشرب والنَّفَس والحركة، وكلِّ متطلبات الحياة، وهذا الفقر الذاتي المفطور عليه الإنسان يحول بينه وبين القيام بكثيرٍ من طموحاته لتحقيق متطلبات الوظيفة العبادية التي ينتمي إليها إعمار الحياتين: الأولى والأخرى، فأراه مولاه ـسبحانهـ وسيلةَ الإعانة للقيام بالوظيفة الحيوية، فما هذه الوسيلة؟

إنها نظام تعبديٌّ خاصٌّ هو (الاستعانة بالله Y)، وهو نظامٌ فريد لأن معناه أن تطلب العون على بقية أنواع العبادة، وعلى السعي في دروب الحياة عمرانًا وبناءً وتؤجر على جميع ذلك، فالاستعانة بالله وحده وسيلةٌ للنفوس التي افتقرت إليه واستغنت بعطائه، ومن جهة أخرى فإن نظامُ (الاستعانة) ينمّي التزكيةَ الذاتية عند المخلوقين، ويخلِّصهم من أدواء العجب والغرور والكبرياء.

والمقصدان الخامس والسادس يبينان لنا الامتزاج في فَهْم قاعدة: (الحقوق الكلية: حق الله الإله الحق، وحق الخلق)، فمنهاج العبادة، ونظام الاستعانة حقٌّ للخلق، وواجب عليهم في الوقت ذاته، ولا تستنكرنَّ ـوفقك اللهـ قولَنا: حقٌّ للخلق، وواجبٌ عليهم؛ إذ العبادة حقٌّ لهم؛ لأنها داخلة ضمن منظومة (الرحمة) بهم، وهي الصفة السابقة الغالبة في صفات الله ـجلَّ مجدهـ، فبها يسعدون، ويقيمون نظم حياتهم على أكمل الوجوه وأفضلها، وهي واجبةٌ عليهم؛ لأن ذلك هو الذي يجب عليهم تجاه مولاهم وملكهم ومالكهم ـتعالى سلطانهـ.

المقصد السابع: (الصراط المستقيم) هو السبيل الأوحد الكفيل باتخاذ القرارات السليمة الموفقة في التعامل مع الحياة وإقامة نظامها العبادي ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦﴾[39].

فهذا مقصدٌ تعريفيٌّ بالطريق الصحيح الوحيد لإقامة نظام العبادة في الإسلام، ونأخذ هذا المقصد من قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦﴾، فبناء النُّظُم العبادية الحياتية يجب أن يكون محكومًا بالتحقق من سلوك الصراط المستقيم، والتخلق بصفات سالكيه، وهذا المقصد يبين لنا قاعدة (حق العباد في معرفة أضمن وأقرب طرق السعادة)، فجعل الله Y للعبادة طريقًا واحدًا هو الطريق المستقيم المؤدي إليه دون تعرجات أو مرور على سواه، وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦﴾[40] يعني وفِّقنا لاتخاذ القرارات الصائبة السليمة في كلِّ شؤون الحياة لتكون عبادتنا لك موافقة لمرادك وشرعك القويم.

المقاصد المحددة للصراط المستقيم:

---

[36] الفاتحة 2/1.
[37] الفاتحة 5/1.
[38] الفاتحة 5/1.
[39] الفاتحة 6/1.
[40] الفاتحة 6/1.

ننتقل بعد كلِّ هذا إلى التحديد الدقيق العجيب في بيانِ صفة هذا الصراط الكفيل بالفوز والسعادة لمن التزم به؛ إذ ستفجؤك الآية السابعة المباركة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[41]، وهي آيةٌ فريدةٌ في موضعها وألفاظها؛ وهي العاصمة لسير السالكين على صراط العبودية والاهتداء إلى السبيل المستقيم؛ وستجد فيها مقصدين عاصمين الثامن والتاسع، فالمقصد الثامن يتعلق بالتجلية لماهية الصراط المستقيم، وإثبات معالمه:

المقصد الثامن: (الصراط المستقيم) الحقيقي هو الذي سار عليه المُنعَم عليهم من الأولين ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[42]:

وهذا يبين صلة السابقين باللاحقين في التمسك بالصراط المستقيم وعدم التفريط فيه والانحراف عنه أو تغييره، فهو يُعَرِّفَ الناس بحدود الصراط المستقيم، ونستنبط هذا المقصد من قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

المقصد التاسع: حماية الصراط المستقيم من خطر الوقوع في الغضب الإلهي، وخطر الضلالة المهلكة:

وهذا مقصدٌ يتعلق بالنفي للطرق الزائغة المجرمة التي يحاول شياطينها الداعون إليها خلطها بالصراط المستقيم، وفيه ترى بتحديدٍ دقيق وجوب حماية الصراط المستقيم من عدوين استراتيجيين أبديين: المغضوب عليهم، والضالين سواء أكانوا أفرادًا أم فِرَقًا، ونستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾، فأن تسير على الصراط المستقيم لا يعني أنك لن تواجه بعقبات أو عراقيل.. فيأتي هذا المقصد التعريفيّ العاصم للصراط المستقيم من هذين العدوين:

أما العدو الأول: فهم (المغضوب عليهم)، وهم من عرفوا الحق، وعرفوا ملامح الصراط المستقيم لكنهم أبوا أن يأخذوا به ويتبعوه.. لكأنك ترى (الصراط المستقيم)، وترى المغضوب عليهم حائدين عن يمينه وعن يساره زائغين ويحاولون إزاغة أصحابه بإسقاطهم في الأعمال التي تغضب الله عليهم.. ولربما قام بعضهم بأفعال المغضوب عليهم بصورةٍ فردية، وآخرون يصرون على الإجرام الجماعي.

وأما العدو الثاني: فهم (الضالون)، وهم عدوٌ يغتصبون القيادة العالمية، وتوجيه المجتمعات عبر عقليةٍ جاهلةٍ ضالةٍ عمياءَ بعيدةٍ عن التحقيق العلمي، والله Y يقول عنهم: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓ﴾[43]، والفِرَق الضالة فئاتٌ أضاعت سبيل العلم الحق بسبب الجهل البسيط والمركب، إلا أن بعضها يُصِرُّ على قيادة العالم على طريقتهم الضالة بعيدًا عن الصراط المستقيم، وربما حسبوا أنهم يحسنون صنعًا.. وأكثرهم أدوات يحركها الفريق الأول (فريق المغضوب عليهم).. ليحققوا بهم أهدافهم ومآربهم وفق خططهم الإبليسية.

هذا المقصد العاصمِ ينبئنا أن فِرَقًا وأفرادًا يستنزلون الغضب الإلهي بالعمل على إضلال البشرية.. وترى المغضوب عليهم والضالين يسعون بإصرارٍ وجَلَدٍ لتنفيذ الخطط الآثمة للتشغيب على الصراط المستقيم، وإدخال العالَم في الكفر والفسوق والعصيان.. فيحاولون إشاعة التكفير العالمي (إدخال الناس في الكفر)، والتفسيق العام، وإحداث العصيان والتمرد على الله Y وأمره والبدع الفاحشة التي لم يعهدها السابقون، وانتهاج سبيل الغي، ونبذ النهج الرشد، بل محاربته ومحاصرة أهله، وتصل هذه الفِرَق إلى ذلك غالبًا عبر أمرين:

---

[41] الفاتحة 7/1.
[42] الفاتحة 7/1.
[43] الرعد 19/13.

الأمر الأول: التلبيس العلمي بإشاعة ثقافة لبس الحق بالباطل، أو التلبيس العملي بتجريد العلم بالحق من العمل به.

الأمر الثاني: السيطرة على وسائل صناعة الأفكار، والتلاعب بمحركات التأثير على الرأي العام العالمي، وصنع القيادات المجتمعية المؤثرة التي تُسْهِمُ في تحقيق أهدافِها الكلية أو الجزئية، وصناعةِ الوعي الذي يستجلب الغضب الإلهي بالإفساد في الأرض وسفك الدماء والتدمير الممنهج، بدلًا من السلام الكوني الذي يحدث بالتزام المنهاج العبادي التوحيدي، كما قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[44].

وهذان المقصدان (الثامن والتاسع) يشكِّلان الحدود الحقيقية الضامنة الحامية لمفاهيم الصراط المستقيم وحدوده، وتوضِّحه أعظم توضيحٍ، وتحدِّده بأقوى تصريحٍ؛ حتى توفر لأصحابه الفلاح الفردي والجماعي، الدنيوي والأخروي، وتعصمَهم من الزلل والخلل في فَهْم طبيعة الصراط المستقيم، وفي الوقت ذاته يضمن هذان المقصدان الحماية والحصانة للصراط المستقيم من العبث والتحريف والتزييف والتبديل والتأويل، ويحفظان الكيانَ الإسلامي الذي يُمَثِّله في الحياة، ويحميانه من اختراق القوى المجرمة المحرفة أو المزوِّرة أو المعتدية، حتى لا يحصل الانحراف والانصراف عنه، أو الغلو والانجراف فيه.

المقصد العاشر: مبدأ الأمة الواحدة وسيلة تحقيق النصر الوحيدة لأصحاب الصراط المستقيم:

ثم يأتي المقصد العاشر ليمثِّل عامل النصر الحاسم لرسالة الرحمة العالمية وحملتها، فيبين أن مبدأ (الأمة الواحدة) هو الوسيلة الوحيدة لأصحاب الصراط المستقيم ليقوموا بتحقيق النصر الجماعي، والحماية لأفراد الأمة، ونستنبط هذا من روح الجماعية التي يعززها قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾، ﴿نَسْتَعِينُ﴾، ﴿ٱهْدِنَا﴾، ومن التقسيم الثلاثي للعالم إلى مُنعَمٍ عليهم، ومغضوبٍ عليهم، وضالين.

تلك عشرة مقاصد كاملة تجدها عندما تتدبر (الفاتحة المباركة).. ترسمها لك مبينة الرؤية القرآنية الصميمة للخريطة الحيوية لحركة الأحياء في هذا الوجود، وتوضِّح لك خلالها كيفية الانتصار الحقيقي العظيم للفرد والأمة التي أخرجها الله بالحق للتعريف به، وبالخير لنشره في العالم..

---

[44] آل عمران 83/3.

المبحث الثالث

الخريطة الكلِّيَّة لسورة البقرة (موضوعها الكلي ومحاورَها العامَّة)

إذا أردنا أن نقف على الخريطة الكلية لسورة البقرة فإننا بحاجة لحصر الموضوعات الرئيسة التي جاءت بها، وتركّز تناولها فيها، وبشيء من التأمل نجد أنها ستة مواضيع، يأتي بيانها في المطلب الآتي[45]:

المطلب الأول: أبرز الموضوعات الكبرى التي تضمنتها سورة البقرة

شكل (3) يوضح أبرز الموضوعات الكبرى التي تضمنتها سورة البقرة

الموضوع الأول: التقوى منظومة الحياة السوية وأرقى مراتب العبودية:

تضمنت سورة البقرة منظومة واسعة من لوازم التقوى ووسائِلِها، وآثارِها الجميلة في السعادة الإنسانية الدنيوية والأخروية، فبدأت بالتقوى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[46]، وختامها وفق ترتيب آياتها اقترن بالتقوى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[47]، وختامها الزمني بالتقوى؛ حيث كان آخر ما نزل من كتاب الله قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[48].

الموضوع الثاني: التأسيس للمدنية الإسلامية ووضع قواعد حضارتها:

من أبرز موضوعات سورة البقرة التأسيس لإقامة الدولة المدنية الإسلامية، وقد "وجهت عنايتها إلى حالة المسلمين، بعد أن أصبحت لهم دولة بالمدينة يجاورهم فيها عدد كبير من اليهود"[49]، وقد وسم الطاهر بن عاشور- رحمه الله - هذا المعنى بأنه الجامعة الإسلامية[50] أي القوم المجتمعون على الإسلام المقيمون بالمدينة المستقرة النامية، وليست المجاميع البادية المتنقلة الظاعنة، فهذه السورة تنشئ المجتمع المتكامل في تنظيماته الداخلية، وعلاقاته الخارجية، ومثلت دستورًا متكاملًا يحوي المواد المتعلقة بإنشاء الحياة المدنية، وتنميتها، وحمايتها.

---

[45] ينظر: عبد السلام مقبل المجيدي، *مفصل تفسير سورة البقرة* (تركيا: مكتبة الأسرة العربية، 2023/1444)، 55/1.

[46] البقرة 2/2.

[47] البقرة 282/2.

[48] البقرة 281/2.

[49] طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 35/1.

[50] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 202/1.

الموضوع الثالث: الاستخلاف في الأرض ومقوماته:

ذكرت سورة البقرة أصل الاستخلاف الإنساني، وفصَّلت عوامل النجاح في هذا الاستخلاف من الناحية الفكرية والروحية، والعملية، كما بينت ارتباط الاستخلاف بوجود الإنسان، وبغاياته ونظمه، ووسائل النجاح فيه، وذلك في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[51].

وذكر بعد ذلك نماذج متفاوتة للخلافة:

فمنها النماذج الفاشلة كالحالة الغالبة على بني اسرائيل حيث ذكر الله Y استخلافهم في الأرض فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[52]، وفي المقابل ذكر الله تعالى نماذج ناجحة للخلافة في الأرض كنموذج إبراهيم υ، وأثنى الله Y على هذا النجاح فقال: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾[53]، وكخبر طالوت وداود -عليهما السلام- في قيادة بني إسرائيل في زمن الابتلاء والشدة الذي حل بهم بعد موسى υ ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرٗا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[54].

الموضوع الرابع: وراثة الأمة المسلمة للملة الحنيفية الإبراهيمية:

ولذا أرجعت للقبلة ببيت الله الحرام مكانتها؛ لتكون عاصمة الرقي الحضاري والإلهام العالمي:

ترى في السورة تجليًا متكررًا للسيرة الإبراهيمية، وكيف جعل الله Y إبراهيم υ للناس إمامًا، وهو الحاصل واقعًا فقد اجتمع على إمامته اليهود والنصارى والمسلمون، لكن الله تعالى يخبرنا أن وراثة إبراهيم υ لا تكون بمجرد الانتساب بل بالعمل والاكتساب ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[55]، ويعلن للبشرية في وضوح لا لبس فيها أن دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب لم يكن إلا الإسلام ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[56].

ويتلو ذلك التأكيد على أن الوصية التي أوصى بها إسرائيل بنيه أن يتخذوا الإسلام لا غيره دينًا، وأنهم أقروا بذلك حيث يقول الله Y: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِيۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[57].

الموضوع الخامس: إحياء الموتى، وبعث الحياة في النفوس المستكينة المستضعفة:

ويتجلى ذلك من خلال مظاهر متعددة، منها:

المظهر الأول: التأكيد المستمر المتكرر على قدرة الله على إحياء الموتى بخلق الخلق من العدم، أو ببعثهم بعد الموات، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتٗا فَأَحْيَٰكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[58].

---

[51] البقرة 30/2.
[52] البقرة 40/2.
[53] البقرة 124/2.
[54] البقرة 250/2.
[55] البقرة 124/2.
[56] البقرة 132/2.
[57] البقرة 133/2.
[58] البقرة 28/2.

المظهر الثاني: قصة القوم الذين ماتت قلوبهم، فأراهم الله Y معجزات متعددة في إحياء الموتى؛ عسى أن تحيا بذلك قلوبهم، فقال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[59].

المظهر الثالث: ذكر الله Y إحياء الموتى في القصص الثلاث الأخيرة في خاتمة السورة ابتداء من قوله –سبحانه-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾[60].

الموضوع السادس: وجوب السمع والطاعة لله وشرعه، وتجنب ورطة التمرد الإسرائيلي المذكور في قصة البقرة:

أهم الدروس في قصة بني إسرائيل يتمثل في الالتزام بقاعدة البناء الإداري والتنظيمي الصارمة لأي مجتمع (سمعنا وأطعنا) أمام كلِّ أمرٍ إلهي بلغه الرسول عن ربه Y.. فقد بين الله Y وجوب السمع والطاعة والانضباط بالقوانين التي أنزلها لتثمر في حياة البشرية الفوز والنجاح، وتستنشق السعادة، وكرر الله -تعالى ذكره- الأمر بالسمع والطاعة بصورٍ مختلفة، فمن ذلك قوله –جلَّ مجده-: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾[61]، وبيَّن الله Y ضرورة الجدية، وتحمل المسؤولية في التعامل مع القوانين الإلهية الكفيلة بالحياة الآمنة في قوله ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ﴾[62].

مما يلفت النظر هذا التنوع الرائع البديع في موضوعات سورة البقرة، وبظننا أن هذا التنوع أمر مقصود في سورة البقرة وفي غيرها من السُّوَر "فأنت تجد في الغالب كل سورة من سور القرآن جامعة لمزيج من مقاصد وموضوعات يشعر الناظر فيها بمتعة ولذة كما تنقل بين هذه المقاصد في السورة الواحدة كما يشعر الآكل باللذة والمتعة كلما وجد ألوانا شتى من الأطعمة على المائدة الواحدة"[63].

الاتصال والتناسب بين موضوعات سورة البقرة:

بين هذه الموضوعات السِّتَّة من الترابط والاتصال ما لا يخفى؛ إذ التقوى هي القاعدة الصلبة المكينة للمدنية الإسلامية التي تنشدها سورة البقرة، وتلك المدنية ليست سوى الصورة المثلى للاستخلاف الذي أناطه الله Y بآدم وذريته، ولأن مسيرة الأجيال الآدمية قد فرطت في عقد الاستخلاف والمنهج الحق المأمور به الموصل إليه جاءت سورة البقرة بالتذكير بملة إبراهيم υ حامل لواء الحنيفية المؤسسة البانية لمشروع الاستخلاف، الرافعة لقواعده حسًّا ومعنى؛ حسًّا بإعادة قيادة العالم إلى قلب الكرة الأرضية وقبلة الحنفاء من لدن إبراهيم فمن بعده، ومعنى بتعليق القلوب والأبصار بأصول دعوته وأركان ملَّته، وهذا كلُّه يستلزم بعثًا جديدًا بعد الموات الذي أطبق على الأرض وأهلها في حين فترة من الرسل، مع التأكيد على مبدأ السمع والطاعة الذي فرط به آخر من يدعي الانتساب لإبراهيم من الأجيال الإسرائيلية، واستبدلوه بالمسلك البقري في التعامل مع أوامر الله ومطلوبات شرعه، وهل السمع والطاعة إلا التقوى التي هي الموضوع الأول الذي عرضنا له؟ وبهذا يتضح التناسب والاتصال الخطي والدائري بين موضوعات سورة البقرة المباركة.

---

[59] البقرة 56/2.
[60] البقرة 258/2.
[61] البقرة 63/2.
[62] البقرة 93/2.
[63] محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن* (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه) 362/2.

المطلب الثاني: محاور سورة البقرة العامة

شكل (4) يوضح المحاور العامة لسورة البقرة

لقد عرضنا -آنفًا- لموضوعات سورة البقرة، ولكن عظيم التدبر لآياتها الكريمة (286 آية) يوقفنا على تقسيم بديع فريد آخر محكم لمقاطعها وجمل آياتها سنطلق عليه (محاور سورة البقرة)، وفيما يلي سوق لتلك المحاور تباعًا لتوصلنا بعد إلى اكتشاف المحور الكلي الرئيس لها:

المقدّمة الأولى:

القرآن الكريم الكتاب الوحيد الكفيل بإصلاح العالم، فهو الدستور الحق لإدارة نظام الحياة في الأرض [البقرة: 1-2].

المقدِّمة الثَّانية:

التَّقسيم الثلاثي للبشريَّة بالنسبة لانتفاعها بدستور الحياة الذي لا ريب فيه (القرآن) [البقرة: 2-20].

المحور الأول:

الإعلان الإلهيُّ العالمي للإنسانية عن النِّظام الحقيقيّ الوحيد لحياة البشرية على هذه الأرض، وهو نظام تعبديٌّ يؤول بأهله إلى الفلاح، وأرقى درجات السَّعادة [البقرة: 21-29]

المحور الثاني:

القِصَّة الحقيقيَّة لبدء تاريخ البشر وأصل خلقهم، والتَّكريم الإلهيُّ للإنسانية بالاستخلاف في الأرض [البقرة:30-39].

المحور الثالث:

دعوة بني إسرائيل إلى الوفاء بعهد الله، والإيمان بالنَّبيّ الخاتم ﷺ، وتناول الأنموذج الإسرائيلي المتأرجح بين النجاح والفشل في إقامة مبادئ الاستخلاف [البقرة:40-123].

المحور الرابع:

أهلية الأمة الإسلامية لوراثة المِلَّة الإبراهيميَّة [البقرة: 124-158].

المحور الخامس:

التوحيد المقرون بالرحمة أعظم اليقينيات الكونيَّة التي يجب تبيينها للعالم، وبيان امتناع أهل الكتاب عن تبيينها بالصُّورة المطلوبة [البقرة: 159-171].

المحور السادس:

التَّقنين التَّشريعيُّ للحضارة الإسلاميَّة الفتية التي تشرق على العالم من المدينة (القسط الأول) [البقرة: 172-207].

المحور السابع:

الدُّخول في السِّلم كافَّة (الإسلام والسَّلام)، فهو شرط تحقُّق الرُّشد، والعدل، والإحسان في الحضارة الجديدة التي تشرق على العالم [البقرة: 208-214].

المحور الثامن:

التَّقنين التَّشريعيُّ للحضارة الإسلاميَّة الفتية التي ستشرق على العالم من المدينة (القِسْط الثَّاني) [البقرة: 215-242]

المحور التاسع:

(التخلُّص من عُقَد الاستضعاف) سُنَنُ التحول من عهد الاستضعاف إلى صناعة التَّوازن والسَّلام العالمِيَّيْن (سُنَّة التَّدافع)؛ لتنطلق الحضارة الإسلاميَّة الجديدة من المدينة، وتخرج من استضعاف القوى المجرمة، كما أقام داود –عليه السلام- حضارته [البقرة: 243-254].

المحور العاشر:

الحضارة الإسلاميَّة الجديدة تحمل أمانة تعريف العالم بعظمة الله سبحانه، ومزايا شرعه، ودلائل ربوبيته؛ لتتحقَّق الثِّقة به في الخروج من الاستضعاف، ولتكون الرِّسالة عالميَّة [البقرة: 255-260].

المحور الحادي عشر:

إشراق الحضارة الإسلاميَّة بالإدارة المتفردة للإمكانات والأموال إنفاقًا عادلًا لها في المجتمع، وتنظيمًا لاستثمارها وتنميتها [البقرة: 261-283].

الخاتمة:

السُّورة تشرق بالحضارة الجديدة في العالم، هذا العرض الممتد لمعالم الحضارة الجديدة المتميزة تشريعًا وإدارة وبناء وعمرانًا يناسبها أن تُختم بكنز من تحت العرش [البقرة: 284-286][64].

المطلب الثالث: الموضوع الكلي الذي لأجله سُوِّرت سورة البقرة:

ربما يُظن بادئ الرأي أن السورة جمعت أشتاتًا من المواضيع المتفرقة دون رابطٍ واضح بينها، فإن كنت مؤمنًا بالقرآن فإنك ستكتفي فقط بالتسليم المحض، والإفادة من هذه المواضيع المتنوعة دون أن تكلف نفسك عناء السؤال عن سبب (تسوير السورة) الذي يمنحها شخصيتها المتميزة المتفردة بها عن غيرها من السُّوَر، أما من أراد برد اليقين وثلج القلب واستشعار عظمة الإعجاز فإن قلبه يتيقن بأن تقسيم القرآن المجيد إلى سُوَر تقسيم توقيفي إلهي لحكمة بالغة.. وهنا تلزمك المصابرة التدبرية لمعرفة سبب (تسوير السورة)، ولذا يهيجك الله -جلَّ ذكره- لتتدبر القرآن، فيقول لك: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[65]. بهذه المنهجية سنلمس تشكل الخريطة المكونة للسورة؛ إذ ينتظمها محور واحدٌ واضحٌ يربط بين آياتها وفق رسمٍ تفصيليٍّ مبهر، فيظهر في السورة جميع ما تحتاجه الصورة المتكاملة.

هنالك عدة معايير تساعد في استكشاف المحور الكلي لكل سورة، ومن أهم تلك المعايير المحاور الكبرى لها، وبذا فإن محاور سورة البقرة آنفة الذكر معين قوي، وضابط معتبر في اكتشاف السلك الناظم لها، أو المحور والمرتكز الذي تدور حوله وتؤول إليه، وبإعمال الفكر تبصرًا وتدبرًا نصل إلى أن سورة البقرة تدور حول الموضوع الكلِّي الآتي:

"إشراق الحضارة الإسلامية الجديدة على العالم، والإفادة من تجربة الاستخلاف الإسرائيلية".

فالسورة تؤسس للحضارة الإسلامية التي تشرق على العالم بسموها ورحمتها انطلاقًا من المدينة المنورة، وتؤسس للأنموذج الناجح للاستخلاف في الأرض، من خلال الإفادة من التجربة الإسرائيلية، وتقوم على نظامٍ دستوري إلهي عماده تقوى الله، وأساسه العملي (سمعنا وأطعنا).

المبحث الرابع

الخريطة العامة لسورة النِّساء التي تحدِّد محاورها الكبرى، وتبرز موضوعها الكلِّيَّ

---

[64] ينظر: المجيدي، *مفصل تفسير سورة البقرة*، 81/1.
[65] النساء 82/4.

شكل (5) يوضح الخريطة الكلية العامة لسورة النساء

تشكلت خريطة سورة النساء من مقدمةٍ ومحاور سبعة وخاتمة، وهي على سبيل الاختصار:

المقدمة: تقرر أبرز الأسس الحقوقية الضامنة لـ(بثِّ الحياة الإنسانية) [النساء:1]:

وتجد هذه المقدمة في الآية الأولى من سورة النساء التي ضمت بكفاءة أهمَّ الأسس التي تتكفل ببثِّ الجنس الإنساني وفق شريعة العدل الإلهية.

المحور الأول: بدء بثِّ الحياة الإنسانية (مرحلة ما قبل نشوء الأسرة-الطفل والمرأة) [النساء 2-14]:

إذا كانت المقدمة قد تحدثت عن مقومات بث الحياة الإنسانية، فإن هذا المحور يعنى ببيان كيفية بدء الحياة الإنسانية، وليصحح الأوضاع الجاهلية القديمة والمعاصرة بشأن حقوق الطفل والمرأة، فهل للحياة الإنسانية أن تستمر أو تستقيم إذا أُهمل الطفل؟ وهل لها أن تثمر وتزدهر إذا أهينت المرأة وهي تمثِّل المركز الحقيقي لحضانة البشر وبثهم في الأرض؟

تقرر سورة النساء أن البشرية تتكون من أربع أسرٍ أساسية:

الأسرة الأولى: الأسرة المركزية، وتتكون من الزوجين والأطفال، وهذه الأسرة أساس بث الحياة الإنسانية.

الأسرة الثانية: الأسرة (الممتدة)، وتتكون من ذوي القربى والأرحام، وأولهم الوالدان اللذان هما أصلٌ لوجود الأولاد ذكورًا وإناثًا.

الأسرة الثالثة: أسرة الإنسانية العامة.

الأسرة الرابعة: الأسرة المؤمنة، وهي أسرة خاصة من الأسرة الإنسانية العامة.

المحور الثاني: نشوء الأسرة المركزية:

ويعرض هذا المحور لأهم قوانين الزواج التي تقيم البناء الأسري، وتضمن للإنسانية حق الاستقرار والانتشار، [الآيات 15-25].

المحور الثالث: حصون الاستقرار الأسري والعلاقة بين الأسر الثلاث المركزية والمتوسطة والعامة وأثر ذلك في تحقيق بث الحياة الإنسانية:

وفيه يظهر التنظيم الشرعي للأسر الإنسانية الثلاث (المركزية والمتوسطة والعامة)، وتقنين المقومات المالية والنفسية لحفظ التماسك الأسري [النساء:26-43]، وتفصل الكلام عن الحصون التي تحفظ الاستقرار الأسري.

المحور الرابع: الإدارة الراشدة وتنظيم الحقوق الإنسانية:

ويتناول هذا المحور حماية الإنسانية بتأسيس الإدارة الرشيدة التي تؤدي الحقوق إلى أهلها، والتنديد بالطغاة أهل الضلالة والإضلال الذين يعبثون بالحقوق الإنسانية، وفضحهم، ويمتد هذا المحور في الآيات [44-70].

وبعد أن وصفت لنا المحاور الثلاثة السابقة تكون الأسر الثلاث: المركزية الأساسية، والمتوسطة، والعامة، وقررت ضرورة وجود تنظيمٍ لحياة الإنسانية لتكون مؤهلة (للبثِّ) الذي يعني الاستقرار والانتشار والإعمار يجيء هذا المحور ليبين كيف يمكن تنظيم العلاقاتِ بين الأسر الأربع بصورة دقيقة؟ كيف يمكن أداء الحقوق إلى أهلها على وجه العدل والإنصاف؟

المحور الخامس: بثُّ الحياة الإنسانية يتطلب الاستقرار بحفظ الأمن الداخلي والسلام الخارجي الذي يتحقق بالعدل والقسط لا بالظلم والبغي:

وهذا يقتضي حفظ المجتمع باعتماد استراتيجية أخذ الحِذْر من الشرور والتحديات المتوقعة، ونصرةِ الضعفاء والمستضعفين، والبحثِ عن أرضٍ يؤسس فيها لقيم العدل والكرامة، وامتد هذا المحور في الآيات [71-104].

بهذا يتراءى لنا البناء العظيم المشيد لسورة النساء، تراه يكتمل رويدًا رويدًا في صورة بهية، وقد رأيت في هذا البناء كيف تم توفير حقوق الفئات المستضعفة من الأطفال والنساء وجميع أفراد المجتمع لينال كلٌّ منهم حقه مكرمًا من الرعاية والعناية وحيازة الثروة وتنميتها، وذلك كان في المحور الأول، وبناء على ذلك قامت الأسرة المركزية في المحور الثاني، كما ظهر لنا ضمن هذا البناء العظيم في المحور الثالث: الموارد المالية المكتسبة للأسرة المركزية، وصاحَب ذلك رؤيتنا للقوانين البانية للعلاقة المتينة بين الأسر الثلاث: المركزية والمتوسطة والإنسانية العامة، وظهر في المحور الرابع الإدارة الرشيدة التي تدير الأسر الأربع، وتعطي كلَّ فردٍ حقَّه لتحقيق هدف البث الإنساني (الحياة، والاستقرار، والانتشار، والإعمار)، ويأتي المحور الخامس ليعرض أهمَّ استراتيجية يجب أن تتبعها الإدارة الراشدة لإقامة البثِّ الإنساني وفق مبدأ الإنصاف، وليعرض التحديات التي تعترضها على المستوى المحلي والعالمي، وضرورة الحفاظ على الاستقرار، والحذر من الشرور والأخطار المتوقعة.

المحور السادس: السلطة القضائية التي تحمي القسط في الحياة الإنسانية، وترد الحقوق إلى أصحابها [النساء:105-136].

المحور السابع: أصناف الذين يعبثون بمِلفات بثِّ الحياة الإنسانية، ويمنعون قيامها بالقسط، ويشيعون الظلم والاحتراب والغلو في العالم [النساء:137-173].

وبعد هذا النظام البديع لمحاور السورة الذي تعاضدت أركانه، وكاد يكتمل بنيانه تأتي:

الخاتمة: حقُّ العالم الإنساني في التعرف إلى الدستور الحق:

الذي يقيم بنيان الحياة البشرية ويتكفل بحل معضلاها، ويجمع بين مخاطبة العقل والعاطفة، دون غلوٍ في أحدهما، ويؤكد على استكمال حقوق الأسرة المتوسطة لحماية الإنسانية من الضلالة [النساء:174-176].

فإن قلت: ما الموضوع الكلي الذي لأجله سورت سورة النساء؟

الجواب: قد سبقت الإشارة إلى وجود جملة معايير تتعاضد في استكشاف الموضوع الكلي للسورة القرآنية، والذي يعنينا هنا إظهار أثر الخريطة الكلية لمحاور سورة النساء في تحديد موضوعها الكلي، وبنظرة متأملة فاحصة في محاور سورة النساء آنفة الذكر مضمومًا إلى المقدمة والخاتمة نصل إلى أن المحور الكلي لسورة النساء هو:

"بثُّ الحياة الإنسانية، والتنظيم الإلهي الحقوقي لها، وحماية المستضعفين وخاصة النساء والأطفال من الاضطهاد".

لم يكن الوصول إلى تحديد الموضوع الكلي لهذه السورة (النساء) عملًا ارتجاليًّا، وفكرة عفو الخاطر، وإنما هي خلاصة تَفَكُّرٍ متكرر، وتدبُّرٍ استغرق مدَّة مديدة، ساقني حادي التدبُّر إلى مراجعاتٍ متعدِّدة في محاور السورة وأقسامها، وهذه المراجعات اقتضت تعديلاتٍ كثيرةً متعاقبةً في ترتيب تلك المحاور اعتمادًا على الإحكام في تتابع آياتها في محاولةٍ للوصول إلى الأكمل في إدراك عمودها[66].

المبحث الخامس

أثر مقاصد الفاتحة في تكوين المحاور الكلِّيَّة لسورتي: البقرة والنساء

قد تقرر معنا قبل أن (الفاتحة العظيمة) قد جاءت بالمقاصد التعريفية الكبرى للإسلام، وهي بمقتضى هذا صارت تشكِّل الخريطة الكلية الجامعة لمقاصد سُوَر القرآن وأغراضها، لكونها "جمعت مقاصد القرآن الكريم فهي كالعنوان للقرآن الكريم وبراعة الاستهلال له"[67]، ولأن الأمر كذلك فإن لمقاصد الفاتحة أثرًا وانعكاسًا جليًا في مقاصدية كلِّ سورة بحدتها، وفي تشكيل خريطتها الكلية وموضوعها المركزي الرئيس، وهذا ما سنحاول تطبيقه على سورتي البقرة والنساء.

المطلب الأول: أثر مقاصد الفاتحة في تسوير سورة البقرة وخريطتها الكلية

جاء الترتيب المصحفي لسورة البقرة ليوافق الحكمة الحقيقية، فالترتيب المصحفي توقيفي على الراجح. ولم يأت ترتيب سورة البقرة في هذا الموضع من المصحف لأنها أكبر السور فإن كبر حجم السورة ليس معيارًا في الترتيب.

---

[66] ينظر: عبد السلام مقبل المجيدي، *التفسير المفصل: سورة النساء (بث الحياة الإنسانية)* (قطر: دار لوسيل للنشر والتوزيع، 2021)، 112/1.

[67] مصطفى مسلم، *مباحث في التفسير الموضوعي* (بيروت: دار القلم، 1426/ 2005)، 84.

وإنما جاءت هذه السورة في ترتيبها الحكيم من المصحف بعد الفاتحة؛ لأنها تقرر أسس التفاصيل الأولى للمبادئ الجامعة لرسالة الإسلام في سورة الفاتحة، وتعكس الاستجابة الإلهية عندما دعا المؤمن ربه في الفاتحة بأن يهديه الصراط المستقيم، ومجيؤها قبل سائر القرآن الكريم؛ لأن سورة البقرة تمثل المقدمة الكبرى للتفاصيل الدقيقة الآتية التي سنراها في بقية سُوَر القرآن الكريم.

لقد علمنا أن مقاصد الفاتحة التعريفية قد هدفت إلى تقديم الإسلام للعالم، وتضمنت خلاصة مكثفة لمقاصد القرآن وأغراضه المضمنة في سُوَره، فلا عجب أن نرى المقاصد العشرة للفاتحة تعاود الظهور على نحو من التفصيل والبيان في محاور وبصائر بقية السُّوَر، ولأن الغرض هنا تجلية ما يتعلق بأثرها في تشكيل الخريطة الكلية لسورة البقرة فليكن حديثنا منصبًّا على ذلك.

لقد عُنيت المقدمة الأولى لسورة البقرة بتقرير أن القرآن هو الكتاب الذي لا ريب فيه لإصلاح العالم، فهو أساس إدارة نظام الحياة في الأرض [البقرة: 1-2]، وأما المقدِّمة الثَّانية فجاءت بالتَّقسيم العالميُّ للواقع البشريّ بالنسبة للانتفاع بدستور الحياة الذي لا ريب فيه(القرآن) [البقرة: 2-20].. إن هاتين المقدمتين ترجمة تفصيلية لما عرضت له ثلاثة مقاصد للفاتحة: الخامس والسابع والثامن؛ إذ يعرض المقصد الخامس –كما سبق بيانه- للتعريف بوظيفة العالمين، وهي الالتزام بأنظمة العبادة الموحدة لله، وتفصيل أنظمة هذه العبادة الموحدة إنما نجدها مضمنة في الكتاب الذي لا ريب فيه الذي جاء لإصلاح العالم مؤسسًا لإدارته، وأما التقسيم العالمي للواقع البشري، فهو صورة أو نسخة مفصلة لما تضمنه المقصد السابع والثامن من الثلاثة الأصناف: المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالين.

وأما المحور الأول للبقرة: الإعلان الإلهيُّ للبشريَّة عن النِّظام الحقيقيّ الوحيد للحياة الإنسانيَّة، وهو نظام العبادة الذي يؤدِّي إلى الفلاح، وأرقى درجات السَّعادة، وبراهين ذلك: [البقرة: 21-29] فإنه لا يعدو أن يكون زيادة تفصيل لما جاء به المقصد الخامس للفاتحة: التعريف بوظيفة العالمين، وهي الالتزام بأنظمة العبادة الموحدة لله.

ويأتي المحور الثاني للبقرة: القِصَّة الحقيقيَّة لبدء التَّاريخ البشريّ، والتَّكريم الإلهيُّ للإنسانيَّة بالاستخلاف في الأرض [البقرة:30-39] ليربطنا بالمقصد الأول للفاتحة: التعريف باسم الإله الحق الأول والآخر-جلَّ مجدُه- الذي انبثق عنه الكون، والمقصد الثاني كذلك: التعريف بالعالم (الوجود الكوني)، والتعرف إلى أنه يسير وفق النظام الإلهي الذي به تتم تربيته، فتنظم قوانينه ونظمه الدقيقة المحكمة؛ إذ الاستخلاف إنما كان بمقتضى أمر الله رب العالمين، والتكريم حاصل برعايته وتربيته إياهم وإصلاحه أحوالهم بخير نظام اختاره لهم.

وأما الثلاثة المحاور اللاحقة لسورة البقرة: الثالث والرابع والخامس فإنها تفصيل لطريق الفريقين: المغضوب عليهم والضالين اللذين جاءت الإشارة إليهم في المقصدين: الثامن والتاسع من مقاصد الفاتحة؛ ذلك أن المحور الثالث للبقرة: (المحور الإسرائيليّ) عرض لدعوة بني إسرائيل إلى الوفاء بالعهد، والإيمان بالنَّبيّ الخاتم، والأنموذج الإسرائيلي بين النجاح والفشل في إقامة مبادئ الاستخلاف [البقرة:40-123]، ثم تلاه المحور الرابع: إرث الأمة الإسلاميَّة للمِلَّة الإبراهيميَّة [البقرة: 124-158]، والمحور الخامس: أعظم الحقائق الكونيَّة التي يجب تبيينها للعالم، وامتنع أهل الكتاب عن تبيينها بالصُّورة المطلوبة: حقيقة التوحيد المقترنة بالرَّحمة، وموانع اعتناقها [البقرة: 159-171]، وجميع الثلاثة وثيقة الصلة بمقاصد الفاتحة العظيمة.

تشكِّل المحاور الثلاثة المتوالية بعدُ للبقرة: السادس، والسابع، والثامن ترجمة للمقصد السابع للفاتحة: (الصراط المستقيم) الذي عُني بالطريق الوحيد لاتخاذ القرارات الصائبة في التعامل مع الحياة وإقامة النظام العبادي ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾[68]، وذلك ما تضمَّنه المحور السادس: التَّمكين التَّشريعيُّ للحضارة الإسلاميَّة الجديدة التي تشرق على العالم من المدينة [البقرة: 172-207]، وكذا

---

[68] الفاتحة 6/1.

المحور السابع: من الدُّخول في السِّلم كافَّة (الإسلام والسَّلام) [البقرة: 208-214]، وهو ذات ما عُني به المحور الثامن: التَّمكين التَّشريعيُّ للحضارة الإسلاميَّة الجديدة التي تشرق على العالم من المدينة [البقرة: 215-242].

وأما المحور التاسع لسورة البقرة: (الخروج من الاستضعاف) سُنَنُ الخروج من حالة الاستضعاف وصناعة التَّوازن والسَّلام العالمِيَّيْن (سُنَّة التَّدافع)؛ لتقوم الحضارة الإسلاميَّة الجديدة في المدينة، وتخرج من استضعاف القوى المجرمة، كما أقام داود –عليه السلام- حضارته [البقرة: 243-254] فإنما هو صورة مشرقة لنجاح أهل الصراط المستقيم (المقصد السابع للفاتحة) الذي ضمن الله Y لهم الاهتداء والفلاح في الدارين، ويقال مثله عن المحور العاشر: الحضارة الإسلاميَّة الجديدة تشرق على العالم بالتَّعريف بعظمة الله سبحانه، ومزايا دينه، ودلائل قدرته؛ لتتحقَّق الثِّقة به في الخروج من الاستضعاف، ولتكون الرِّسالة عالميَّة [البقرة: 255-260].

المحور الحادي عشر: إشراق الحضارة الإسلاميَّة بالإدارة المتميِّزة للأموال إنفاقًا عادلًا لها في المجتمع، وتنظيمًا لاستثمارها وتنميتها [البقرة: 261-283]، فإنها نتائج للاهتداء والسلوك على صراط الله المستقيم وعلى منهاج العبادة الموحِّدة، والنُّظُم الربانية الضابطة لسير البشر الكفيلة بتحقق السعادة التي يرشد إليه المقصد الخامس والسادس والسابع للفاتحة.

وتأتي خاتمة البقرة [البقرة: 284-286] لتقدِّم مشهد العبادة المخبت، المنيب لله المستعين به، المستهدي بنوره، ولكأن هذا أنموذج تطبيقيٌّ حيٌّ من نماذج العبودية الموحِّدة التي عرض لها المقصد الخامس للفاتحة، وهي الضامنة الحقيقية الوحيدة للفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

وبهذا يتجلى بوضوح أثر مقاصد الفاتحة في تسوير الزهراء الأولى (البقرة)، ورسم خريطتها، وتقسيم محاورها وصولًا إلى موضوعها الكلي الرئيس: **"إشراق الحضارة الإسلامية الجديدة على العالم، والإفادة من تجربة الاستخلاف الإسرائيلية".**

المطلب الثاني: أثر مقاصد الفاتحة في تسوير سورة النساء وخريطتها الكلية

إن السياق المصحفي يُردِفُ سورةَ أمِّ القرآن بسُوَر ثلاث عظيمات: البقرة، آل عمران، النساء، وإنا إذا أعملنا علم اتصال النَّظْم القرآني في هذه السُّوَر الثلاث سيظهر لنا قاسم مشترك بينها، وهو هيمنتها على إدارة أهمِّ مِلفات الأحداث العالمية، فالسُّوَر الثلاث تدير ملفات التفاعل مع الآخرين محليًّا ودوليًّا وخاصة القوى الأكثر تأثيرًا في العالم: القوى الإسرائيلية والنصرانية، وهذا يعود بنا إلى ما ألمحت إليه مقاصد الفاتحة [السابع، الثامن، والتاسع] من حال فريقي المبطلين حينما وسمتهما بالمغضوب عليهم والضالين في إشارة مبكرة لديمومة الصراع بين فريق الصراط المستقيم، وبين هذين الفريقين، كما أن سورة النساء قد سبقت العالم بمِلف خماسية الحقوق التي تمثل معاني (البث)، وهي الحياة (الإظهار) والاستقرار والإعمار والتكاثر والانتشار، وتقنين الحقوق النسوية بصورةٍ عادلة تكفل إنشاء الأسرة المركزية التي تنبثق عنها الإنسانية المتكافلة، وهذا يتساوق مع حقيقة ربوبية الله لخلقه وإصلاحه احوالهم بما أنزله عليهم من نظام العبودية الموحدة المشار إليه في المقصدين الثاني والخامس من الفاتحة.

وإذا كانت سورة البقرة قد جاءت بتقرير مبدأ التعايش وإدارة الحوار مع الكفار الكتابيين، وهم فريقا (المغضوب عليهم والضالين) المذكوران في الفاتحة (المقصد الثامن والتاسع).. إذا كان الأمر كذلك فإن سورة النساء أردفت ذلك بذكر منظومة الحقوق اللازمة لإنقاذ المستضعفين وحمايتهم على المستويين المحلي والعالمي، الذين يتحكَّم فيهما فريقا الغضب والضلالة، وأول من يستحقُّ الحماية من ذوي الاستضعاف النساء والأطفال المضطهدون، وهذه المنظومة الضابطة الضامنة لحقوقهم صورة من صورة الرحمة الشاملة السابغة التي جاء بها (المقصد الأول والثالث) للفاتحة من

التعريف بأهم أهداف خلق العالمين: الرحمة بهم، وهو أهم أهداف الرسالة الإسلامية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾[69].

تكفل (المقصد الأول والثاني) للفاتحة بتعريف الخلق بخالقهم وربهم ومصلح شؤونهم، ثم بين الله -تعالى شأنه- في (البقرة) الهدف من خلق آدم عليه السلام، وهو جعله خليفة في الأرض، وهذا نوع تفصيل لمقصدي الفاتحة المذكورين؛ إذ الاستخلاف إحضار للوظيفة التي خلق الله رب العالمين خلقه من أجلها، وأنزل عليهم شرعه ليقوموا بوظيفة الاستخلاف على هداها ووَفْقَها، ثم ذكر في سورة النساء الوحدة الإنسانية في سورة النساء، وحقوق بني الإنسانية على بعضهم، وهذا يتساوق مع ما قررته الفاتحة من ربوبية الله للعالمين أجمع في (المقصد الثاني)، ومن لزوم الاجتماع وبناء الأمة الواحدة لتحقيق لوازم الاهتداء بالصراط المستقيم وفق (المقصد العاشر) من سورة الفاتحة.

إن الإحكام والاتصال ظاهر بين الفاتحة وبين سورتي البقرة والنساء، فبعد الإشارة إلى المغضوب عليهم والضالين في الفاتحة يبرز بجلاء في كل من سورة البقرة ثم آل عمران التفاعل مع اليهود، وبعده يأتي التفاعل مع الحضارة الأكثر عددًا وقوة وإمكاناتٍ في الواقع العالمي.. إنها الحضارة النصرانية، ولأن وقائع التاريخ وواقع الحال يشهدان بما مارسته هاتان الحضارتان من تغول بحق المستضعفين وإهدار لكرامتهم وبالأخص الأطفال والنساء تأتي سورة النساء لإعادة الأمور إلى نصابهم، وبالانتصار لهذه الفئة وإعطائها حقوقها فقد سبق القرآن الأممَ المتحدةَ والمؤسسات الحقوقية الدولية في إنشاء أسسٍ للتواصل المحليّ والدوليّ بين الأمم وأهل الأديان من خلال السورتين المباركتين (البقرة، وآل عمران)، بينما ترى التلاعب الدولي قائمًا إلى الآن بأوراق تجد من عناوينها (الأقليات، والأكثرية) فينصرون جهة ضد أخرى حسب الأهواء التي تقتضيها مصالح القوى المستكبرة في العالم، وينتقصون حقوق المستضعفين من الشعوب والأطفال والنساء.

إذا كانت السورتان الزهراوان فصَّلتا التفاعل مع أكثر جهتين تأثيرًا في العالم هما: العالم الإسرائيلي، والعالم النصراني فبماذا تشرق علينا سورة النساء؟

إنها تشرق بالكلام عن حق الإنسانية في الحياة والبثِّ الاجتماعي البشري، وتنظيم حقوقها البينية بالقسط؛ وحمايتها وخاصة المستضعفين والنساء من الاضطهاد، وهو ما ألمح إليه البقاعي بقوله: " من أعظم مقاصد السورة العدل في الضعفاء من الأيتام وغيرهم في الميراث وغيره ، وكان توريث النساء والأطفال - ذكوراً كانوا أو إناثاً - مما أبته نفوسهم ، وأشربت بغضه قلوبهم "[70].

إنها تقدِّم لك منظومة قانونية مقسطة متكاملة مدهشة تكفل للإنسانية الوجود، والبث، وتعبر لك أتم التعبير عن ذلك الآية الأولى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾[71]، فيشوِّقك الله -جلَّ ذكره- تشويقًا مستفزًا لتتساءل: كيف يحدث ذلك؟

عندها تجد السورة تتكلم عن حقوق الطفل والنساء ابتداءً من الآية الثانية على صورة قوانين ملزمة يتخللها الإشراق الوعظي، والنور التذكيري، فيقول الله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء: 2].

تجد في سورة النساء كلامًا تفصيليًا عن حق الإنسانية في (بثِّ جنسها)، وكيف يتأتى لها هذا الحق إن أهملت حقوق الأطفال، وتم التلاعب بحقوق النساء؟

وبذا تحدِّثك السورة عن حقوق الأطفال والنساء ليكون ذلك الحديث منطلقًا لتكوين الأسرة المركزية (الرجل والمرأة والأطفال) والأسرة المتوسطة (ذوي القربى)، ومنهما يتمُّ بثُّ الجنس

---

[69] الفاتحة 3/1.

[70] إبراهيم بن عمر البقاعي، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415/ 1995) 326/2.

[71] النساء 1/3.

الإنساني، فتنشأ الأسرة الإنسانية الكبيرة، وهكذا يقرّر الله Y حقوق النساء ويضع القوانين والإجراءات اللازمة لتصبح مركزًا لقيام الإنسانية في الأرض بدلًا من أن تكون المرأة أداة يتلاعب بها الشيطان والذين يتبعون الشهوات.

وهذا كلُّه يؤكِّد أن علم اتصال النَّظْم القرآني يكشف المفاجآت في الإحكام القرآني اللفظي والمعنوي، وينبئك عن جانبٍ من أهمّ جوانب الإعجاز القرآني.

وهكذا اجتمعت السُّوَر الثلاث: الفاتحة والبقرة والنساء، لتنبئك بتفصيلٍ يأخذ الأنفاس عن قضايا المرأة والتفاعل الإنساني مع الآخرين وهو الذي تبخسه (الشرعية الدولية) وتتلاعب به عندما تسميه (قضايا الأقليات) فتنصر أقلية ضد الأكثرية في مكان، وتتلاعب بحقوق الأقليات في أمكنة أخرى، وهذا التفصيل الحقوقي على هذا النحو المدهش إنما هو ترجمة تلقائية لمقصدية الرحمة من خلق الخلق الذي قرَّرته سورة الفاتحة، فضلًا عما يتميز من مخالفة أهل الغضب والضلال من الأمتين الإسرائيلية والنصرانية اللتين أفاضت كلٌّ من سورتي البقرة وآل عمران ببيان حالهما، وعرضت لنماذج الفشل الحياتي الكثيرة الممتدة عبر قرون من الزمن، كما عرضتا لنماذج نجاح حضارية محدودة لهم.

الخاتمة

أبرز نتائج البحث تتلخص فيما يأتي:

1) تُمَثِّل الفاتحة الخطَّة القرآنية المركزية لبناء الحياة العلمية والعملية التي يحتاجها الفرد والمجموع، وأساس الخطط التي تقوم بتشكيل الحضارة الراشدة في المجتمعات.

2) تقدِّم الفاتحة العظيمة الرؤية القرآنية التي تحدِّد للمسلمين -أفرادًا وأمَّة، وشعوبًا وحكومات- الأوليات الحياتية التي تشكِّل الأساس الفكري والثقافي الذي نبصر به كيفية التعامل مع الوجود.

3) علم اتصال النَّظْم القرآني يكشف المفاجآت في الإحكام القرآني اللفظي والمعنوي، وينبي عن جانبٍ من أهمّ جوانب الإعجاز القرآني.

4) تضمَّنت الفاتحة خلاصة مكثَّفة مركَّزة لجميع مقاصد بقية السُّوَر القرآنية؛ وبذا فهي تسهم في رسم الخريطة الكلية لكلّ سورة من السُّوَر، ولكأن مقاصد الفاتحة العشرة تعاود الظهور في الموضوعات الكلية للسورة، ومحورها الرئيس الذي تؤول كل المحاور.

5) مركزية الفاتحة لا تعني أن بقيةَ السُّوَر القرآنية مستغنىً عنها؛ ذلك أن القرآن كلَّه -وليس الفاتحة فقط- هو الذي تتحقَّق به الكفاية للاحتياجات البشرية في إقامة الحجَّة، وفي فَهْم الحياة، وفي التشريع التنظيمي للواقع.

6) يجب إعادة تشكيل العقل المسلم في ضوء مقاصد سورة الفاتحة، ورسم خريطة الآفاق الفكرية على نورٍ من بصائرها.

المصادر والمراجع

البقاعي، إبراهيم بن عمر، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. المجلد8. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة1، 1995/1415.

ابن حبان، محمد بن حبان، *صحيح ابن حبان*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المجلد18. بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة2، 1993/1414.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. *مفاتيح الغيب*. المجلد32. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة1، 2000/1421.

رضا، محمد رشيد بن علي. *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*. مجلد12. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. المجلد2. مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة3، د.ت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. *معترك الأقران في إعجاز القرآن*. مجلد3. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة1، 1988/1408.

الطبراني، سليمان بن أحمد، *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. المجلد25. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، الطبعة2، 1994/1415.

طنطاوي محمد سيد. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. المجلد3. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة1، 1997.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)*. المجلد30. تونس: الدار التونسية، د.ط. 1984.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. *لطائف الإشارات (تفسير القشيري)*. تحقيق: إبراهيم البسيوني. المجلد3. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة3، د.ت.

قطب، سيد. *في ظلال القرآن*. المجلد6. بيروت: دار الشروق، الطبعة17، 1412.

المجيدي، عبد السلام. *الإسلام في سبع آيات*. إسطنبول: دار الأصول العلمية، الطبعة3، 2021/1442.

المجيدي، عبد السلام. *التفسير المفصل: سورة النساء (بث الحياة الإنسانية)*. المجلد3. قطر: دار لوسيل، الطبعة1، 2021.

المجيدي، عبد السلام. *مفصل تفسير سورة البقرة*. المجلد1. إسطنبول: مكتبة الأسرة العربية، الطبعة1، 2023/1444.

مصطفى، مسلم. *مباحث في التفسير الموضوعي*. بيروت: دار القلم، الطبعة1، 2005/1426.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. المجلد5. القاهرة: دار إحياء التراث العربي. الطبعة1، 1991/1412.